الانسان جماعة

كل انسان محمول على جماعة من الجماعات التى عليها الناس يتآزر أفرادها ويتعاضد آحادها جلباً للمنفعة ودرءا للمضرة وكلهم يد واحدة على من سواهم.

أبلغ هاته الجماعات ما نسميه بالشعب والقبيلة وما يرادف ذلك من الاسماء وهى عبارة عن عصبة من الخلق طالت العشرة بينهم فمضت عليهم الدهور وهم مع بعضهم بعض فى صعيد واحد خلفا عن سلف ينشأ فى هاته العصبة النشء فيعمل فيها على أثر من سبقه اليها ويأخذ حظه منها كما تأخذ حظها منه ثم يفارقها وتبقى بعده سائرة فى سبيلها قائمة بأمرها الى أجل مسمى وساعة فى كتاب اى عدة أجيال ماتوا عن اجيال لا زالوا فى الحياة وآخرين فى بطون الايام استرسلت اعمالهم واتصلت اواخرهم بأوائلهم واقترنت اطرافهم واشتدت اواصر القرابة بينهم فصاروا ذاتا واحدة لها حياة خاصة بها وشارات تميزها على غيرها من عقائد توافق ضمائرها وعوائد تناسب خواطرها وأزياء تلائم انظارها وتاريخ يمجد آثارها ويفشى فخارها وآمال توعز للزمان أسرارها حتى صارت هى الاصل والناس لها أتباع وهى الشجرة وهم اغصانها وهى الاروة وهم فروعها وما الانسان الا حركة من حركاتها اوشظية من خشبتها فلا معنى له فى الحقيقة الا منها ولا قيمة الا عنها فان ابيت الا بت اوصاله عن عترته وأرادت الا تجريده عن طائفته فريشة فى الهواء اونبأ ليس له مستقر

حالة لا يستثنى منها حتى أفذاذ الرجال الذين تجود بهم الدنيا حيناً بعد حين . يوافون الخلائق بالعجائب ويبهرونهم بالمعجزات وجلائل الاعمال فتميد بهم الارض اعجابا وترتج من اجلهم اركان الكون اكباراً فان هؤلاء العظماء ايضاً من الجماعات التى منها يخرجون وانما تحملهم اكثر من غيرهم ثم ترسلهم الى الوجود لسنا ناطقة عن اسرار اهلها الساكنين فى القبور ومطامع الذين لا زالوا فى الديار ، وكواكب ينيرون لاخوانهم من آن الى آخر سبل الهداية ويرشدونهم الى مواطن الصواب

لا تضطر الانسان طبيعته الى أمثاله من قبيل مصلحة المعاش فقط بل هو ذو انس يستوحش العزلة ويحتاج الى التعلق بغيره من ام حنون وأب مشفق وزوج يسكن اليها وتسكن اليه وولد بار وأقارب يعطفون عليه وخلان يتبادل معهم كؤوس المحبة والوداد كما يحتاج الى التعلق بالزمان اذ يأتى اليه فيحب فيه البقاء ويذعر من الفناء وحيث ان الموت لا بد منه فحسبه اذا وافاه الاجل ودعاه داعى الرحيل أن لا يذهب من الدنيا جملة وأن يبقى له فيها ذكر ينبئ عليه واثر يشير اليه وهذا أيضا سبب من الاسباب التى تلجئه الى زمرة من زمر البشر يلفى فيها ما يرغبه من المحبة منه واليه وتميل به الى جماعة تصون اثره وتحفظ عهده وتكون لأعماله وعاء ولأخباره حرزاً .

علاقة المرء بغيره واتصال عمله بالمكان والزمان هو عين

الفارق بينه وبين ما عداه . يذهب من الوجود ويبقى أثره يدل عليه حتى انا لو اردنا جعل حقيقة له تميزه على غيره أمكننا ان نقول الانسان عمل أو اثر ونقول فى الجماعة مجموع اعمال او سلسلة من الآثار .

هذا ودون الشعب والقبيلة من الجماعات اصناف من طوائف وأحزاب تطلق على عدد من الافراد اختلطت اشغالهم واتحدت مصالحهم وجعلوا لأنفسهم غاية يسعون اليها وأمراً يكيدون

رب رجل يظن فيه المقدرة على الاكتفاء بنفسه والاستغناء عن غيره عملا بقول القائل

ترحل من مكان فيه ضيق
وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضاً بارض
ونفسك لم تجد نفساً سواها

ولكن هذا المتطاول على عترته المفارق لعشيرته انما يخرج فى الحقيقة من دار للدخول فى دار اخرى ويتنصل من طائفة للاندماج فى سواها من الطوائف وأشقاها طائفة الاحرار .

فلا غرو اذن - حيث ان الانسان قضى عليه ان يندمج فى جماعة - ان يكون امره اليها وأمرها اليه . اذ هو منها وهى منه وهو فيها خادم ومخدوم وضامن ومضمون . اعماله عائدة عليها وأعمالها عائدة عليه وآثلة اليه . وان يتبعها فى سائر أحوالها ويجرى عليه ما يجرى عليها من سراء وضراء ورحمة وعذاب .

من عرف هذا وأحال عليه شؤون الناس فهم معانيها وبدت له غالب أسبابها . فان جل الوقائع التى تقع للخلق مبنية على علاقاتهم ببعضهم بعض والتجائهم الى حوزة الجماعات التى اليها ينسبون .

كم من رجال مثلا نراهم فى رغد من العيش وعز من المنزلة ويظهر لنا أنهم ليسوا بأهل لما هم فيه فنتعجب من ذلك وربما نعترض على الاقدار فى شأنهم فاذا رجعنا الى السبب وجدناه من عمل الاسلاف وأثر الاوائل او منفعة من الجار

وكم من اقوام يكونون فى امتهم سادة . بيدهم الحل والعقد وفى منازلهم الخير والفخر والناس لهم مطيعون ولأغراضهم خادمون اذ تقوم عليهم العامة فتخرب ديارهم وتذبح أولادهم وتستحيي نساءهم فيسمى الاقوام المذكورون هذا الامر عصيانا وعثواً فى الارض وفساداً وتنظر الى حالة اولائك الناس وما وقع لهم من ذلة بعد عزة وهبوط بعد صعود ويجول فى آذاننا شكاء الاشايب والاصاغر وبكاء الضعفاء والولدان فتاخذنا الرحمة عليهم ونشفق من امرهم ونستبشع القضاء وما جاء به ثم اذا أبنا الى رشدنا ورجعنا الى جادة الصواب وجدنا العلة فى بطون الايام وغضون الاعوام . رجال عملوا فاستحقوا السيادة وجمعوا اليهم اطراف النعمة وأطاعتهم العامة ثم ماتوا وتتابعت الاجيال جيلا بعد جيل والرئاسة باقية بايديهم واذا الخلف تذهب منه خصال السلف فيخرج عن الحد ويتباعد عن طريق الجد فى معاملة من يعترف له بالرئاسة حتى يفرغ صبر العامة ويجيش صدرها وما هى الا عشية او ضحاها اذ تقوم على ساداتها تاخذ منهم الثار ولا تفرق فى ذلك بين الظالم منهم وغير الظالم اذ ان قيامها تقصد به فى الحقيقة جماعة ولا تقصد به أفراداً والشر يولد الشر والخير يولد الخير واذا ظلم السيد اشتكى

العبد وما أطاع الا ليطاع وما أحب الا ليحب واذا هانت الحياة هانت الموت وما كل موت فوت ولا فوت الا بين عميان ولا قبر الا النسيان .

وكم من امير سقته رعاياه كاس المنية من غير ذنب ينسب اليه وماذلك منهم الا على سبيل الانتقام من طائفته وتبريد حتيفة تربت فيهم شيئا فشيئافلما اشتدت اخذوا من وجدوه ولم يقتلوا شخصا معينا بل قتلوا فى الحقيقة فيه طائفة هو نائبها وعشيرة هو عنوانها حاذفين من الرسوم رسماً ومن الدلالات دلالة . وهكذا مات الرجل عن الاولين كما عاش من قبل بالتاج ورائة عن الاقدمين

الفتنة طامة تربيها الاجيال فاذا جاءاوانها انقسم الناس الى فريقين فريق طالب تابع وفريق مطلوب متبوع يشمل كل منهما فى صفوفه سائر من يدخل فى نوعه من اموات وأحياء ومن اكابر وأصاغر وأقوياء وضعفاء فيكون من جملة الطالبين من له شكاية ومن ليست له شكاية ومن جملة المطلوبين الظالم وغير الظالم اذ تختفى الافراد ولا يبقى لها تعريف الا بالالقاب والاضداد حتى اذا ما التقى الخصمان اختلط السليم بالسقيم وذهب المحرم مع المجرم .

هذا ما اقتضته الحكمة . ما من عمل يصدر من المرء الا وله فى قومه اثر وفى الزمان خبر والداء يطالب الابناء بداء الآباء والايام تحاسب الاحفاد عن افعال الاجداد والاصول تتبعها الفصول والعدوى تسير من دار الى دار ويبلغها الجار الى الجار وقد قال تعلى واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً واذا دمرت القرية نزل القضاء بالعابد والفاسد وذهب الصالح مع الطالح

يظن الانسان الاستقلال ولا استقلال فهو دائما من طائفة امره اليها وأمرها اليه والمرء ينسب الى بلده والبلد ينسب الى أهله فعلى العاقل أن يتبصر فى عمله ومن تبصر فيما لعمله من اثر اكثر من الحذر .

العمل كالشجرة ان لم تنفع غارسها نفعت غيره وهى من اطيب الآثار تزين الارض باوراقها وتجود على الناس بثمارها ويستظل بها عابر السبيل .والعمل أطول من الامل اذ الامل يحده الاجل أما العمل فيتخطى الاجل والامل يفنى مع حامله أما العمل فباق بعد عامله

م

مهام ابحاثنا

حديث مع السيد محمد المرنيسى

لامشاحة فى أن المغرب دخل فى طور جديد يتراءى ذلك فى كل ناحية من نواحى الحياة والحق انه جدير بكل ما يرفعه الى المستوى فلا عجب اذا رأيناه اليوم يبدى مايحس به ويصرح بما يؤلمه يؤيد هذا المظهر العظيم الذى ظهر به النواب الاهالى والمركز الذى أحرزوا عليه فى لجنة الترتيب التى اجتمعت فى ثلاثين من شهر يونيه الماضى لجنة لعب فيها النواب المذكورون دوراً مهما مما حدا بنا الى مقابلة صديقنا الحصيف السيد محمد المرنيسى الذى كان فيها لسان الجميع

★ ● ★